

التواصل اللغوي في حياتنا اليومية .

د/طول أمال
جامعة تلمسان

1- أهمية التواصل:

يضطلع التواصل في شتى مناحي الحياة، بما ذكرناه عن فعل التواصل (التفاعلي، الناقل للمعلومات والخبرات والأفكار والسلوكيات) وأنه ضرورة حتمية ويومية لا يستطيع الإنسان تجاهلها، لأنها أساس قضاء حاجاته المعيشية، التربوية، العلمية، المعرفية، الدينية...وما إلى ذلك من ممارسات يومية . إنَّ التواصل يفتح مجال الاحتكاك البشري ويتيح الفرصة للتفكير والاطلاع والحوار وتبادل المعلومات في شتى المجالات والميادين، كما أنه يؤكد ويولد الاحساس بأنَّ البشر يعيشون مع بعضهم البعض، فالتواصل يبعد الإنسان عن العزلة ، ويتيح له الفرصة للتعرف على آراء الآخرين وأفكارهم عن طريق الحركة التي يحدثها على شكل جدال وحوار بين طرفين من الناس، أو مجموعة مع مجموعة أخرى، وبين فرد وفرد.

و لعلَّ معاناة هيلين كيلير ⁽¹⁾ Helen Keller. ومحاولة فك عزلتها بابتكار وسائل بديلة للتواصل تنهض دليلا على مدنية الإنسان واجتماعيته وطبيعته التواصلية الضرورية .

فلقد وضحت (Helen Keller) في كتابها (قصة حياتها) معاناتها وخيبة أملها وعدم الشعور بالانتماء ،بعد فقدانها للسمع والبصر منذ نعومة أظافرها، وكافحت كفاحاً مستميتاً من أجل ابتكار وسائل بديلة للتواصل. ⁽²⁾ يقول يسبرسن Jespersen ⁽³⁾: "بالخبز وحده لا يعيش الإنسان" ⁽⁴⁾ ، فالتواصل حاجة ملحة وضرورية جداً، وذلك بالنظر إلى أثره بين الناس. بل هو حياة يتغذى بها الفرد كما يتغذى بالخبز . فالكلام ⁽⁵⁾ وسيلة من وسائل الراحة، وتقليل الاضطراب، وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركونه الحديث، وإقامة علاقات بينهم.

- إنَّ التواصل يساعد الأفراد والمجتمعات على نقل الحضارات والتقاليد واللغات والعادات والتقاليد إلى مجتمع آخر، وحتى يستطيع الإنسان أن يعرف مقدار قيمة عاداته وبيئته، عليه أن يرى ويحتك بالآخرين.
- يستعمل التواصل اليوم لترفيه المجتمعات، وذلك بتوظيف تكنولوجيا الاتصال من الهاتف والتلفزة والانترنت.
- يساهم التواصل في تنمية النشاط الاقتصادي المحلي والعالمي، وذلك بالاستعانة بتقنيات التواصل والبيع والتسويق واستثمار وسائل الاتصال المتنوعة.
- التواصل وسيلة للتعليم والتعلم والدعاية والإعلام والترفيه.
- يحقق التواصل التنظيم والنظام والتفاهم، ويجنب الفوضى، فهو نشاط جماعي وليس نشاطا فرديا، إنه يحكم علاقة الفرد بقربيه، بزوجه أو أخيه..والقريب بالغريب عنه (تاجر أو عالم..) بل ويحكم العلاقات الدولية والخارجية للشعوب والأمم.

للتواصل أهمية فعالة في نشوء المجتمعات، وترقيتها، وتفعيل العلاقات بين أبناء الشعب الواحد، والشعوب المختلفة محلياً ودولياً، هو رابط متين بين الناس، ووسيلة سلسة ومرنة لجميع الأعمار والطبقات واللغات والديانات.

فمن خلال التواصل يتبادل العالم ثقافته وعلومه وعاداته وتقاليده، وتجارته واقتصاده، فيحدث التطور ويُقضى الحاجات، ويزدهر الاقتصاد، وتروج البضائع، وتكبر المؤسسات، وتنشط المصانع، وتتطور العلوم وتنحسن السلوكيات، وتتحاكى الثقافات.

اللغة كذلك - علاوة على كونها أداة للتواصل - لها وظائف أخرى، وهي لا تستخدم- فقط -في الكلام ؛بل في الغناء أيضا وفي كسر حواجز الغربة و في الترويج عن النفس ، وفي التوثيق بالكتابة ، أي تسجيل الأحداث والتاريخ، والحقائق، والمعارف ... ⁽⁶⁾ إلخ

وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أهمية القلم، وإلى أهمية الكتابة، قال تعالى : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)⁽⁷⁾.

وقال أيضاً عن كتابة الدّين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ..)⁽⁸⁾ ؛ أي : أن الكتابة ذاكرة الفرد والأمة، وهي سجل لكل جوانب حياته، وهي منبع لا يغيض لكل المعارف والعلوم.

فاللغة وعاء الثقافات ، وهي تركيب دال تعكس كمية من المعاني العميقة ؛ شعورية وأخيلة وظلال معنوية متنوعة ، وعندما تُستبدل بترجمة وعبارات من لغة أخرى فإنها لا تعكس نفس المعاني العميقة حتى ولو كان المقابل اللفظي صحيحاً .

وهكذا ، ومما سبق نقول : إن اللغة وظائف متعددة، اجتماعية وفكرية ونفسية، وهي بهذا تمثل الأداة الأساسية لتواصل البشر سواء في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة.

يقول الجاحظ : "القلم أبقي أثراً، واللسان أكثر هذراً"⁽⁹⁾.

2- أنواع التواصل

يتم التواصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومنها: اللغة والعلامات والخطابات والأنساق وسائر الكائنات الموجودة في الطبيعة. ويعني هذا أن كل شيء في عالمنا يحمل دلالة ووظيفة. وأن هذه الآليات التواصلية قد تكون لفظية أو غير لفظية، تعبر عن وعي أو عن غير وعي.

فالتواصل هو: " الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كل رموز الذهن ، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضاً تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون، وكل ما يشملها آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان " ..⁽¹⁰⁾.

فالجاحظ مثلاً عندما يتحدث عن المفهوم العام لكلمة "بيان" يعني بها : "الدلالات الظاهرة على المعنى الخفي" و يحصرها في خمسة أقسام: اللفظ، و الكتابة، و الإشارة و العقد و الحال أو النصبية.

- يقول عن **اللفظ** ، إنه : " إحدى الدلالات الخمس على المعاني، ميزة الإنسان و خاصته الأساسية التي بها يتحدد نوعيا و هي قدرته على الكلام و الإبانة عن نفسه بالألفاظ. "

- **الخط** أو التدوين: و يعني به كتابة الكلام و تدوينه، و قد جعله في الترتيب تالياً للحفظ مباشرة.

- **الإشارة**: ⁽¹¹⁾ وهي عند الجاحظ، في الاصطلاح البياني "إحدى الدلالات الخمس على المعاني"

- **العقد**: و هو البيان بالحساب. وهو دون اللفظ و الخط".

- **النصبية** أو الحال: و النصبية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف،

و في تعريف "النصبية" يقول الجاحظ في "البيان والتبيين": "و أما النصبية فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، و

المشييرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات و الأرض و في كل صامت و ناطق، و جامد و نام، و

مقيم و طاعن و زائد و ناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت

ناطق من جهة الدلالة، و العجماء معربة من جهة البرهان "⁽¹²⁾.

ومن كل هذا نقول : إن التواصل يتم بواسطة آليات لفظية وغير لفظية ، أ ويتمظهر في مستويين

سلوكيين: لفظي وغير لفظي.

التواصل اللغوي/ اللفظي :

التواصل باللفظ هو تبادل اللغة المنطوقة بين أطراف الاتصال، للوصول إلى أكبر عدد من الفهم المشترك

للمعنى الذي تثيره الألفاظ لدى أطراف الاتصال . ذلك أن اللغة تعد من أهم آليات التواصل، و من أهم

تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتعلمات من الأنا إلى الغير أو من المرسل إلى المخاطب⁽¹³⁾.

ويظهر الاتصال اللفظي في :

1 - الحوار والنقاشات.

2 - التعلم والتعليم.

3 - والإعلام المرئي والمسموع.

أنواع التواصل اللغوي :

إنّ الطبيعة الإنسانية تتيح لنا التعبير عبر أشكال متعدّدة من التواصل باللغة ، في شكلها المراسي : المنطوق والمكتوب (14) . ويمكن إجمالها في ثلاثة أنواع :

أولاً: التواصل الشفهي أو بالمنطوق: هو الطريقة الأكثر استعمالاً، والذي يتم فيه تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به شفهيًا عن طريق الكلمات المنطوقة، ويعتبر هذا الأسلوب أقصر الطرق لتبادل المعلومات والأفكار وأكثر سهولة، فهو يستعمل في الحديث اليومي وأثناء مزاولة العمل و في تقديم العروض... إلخ، ومن مميّزاته أنّه يساعد على توضيح الرسالة عن طريق الحوار المستمر.

ثانياً: التواصل المكتوب: يتم التواصل المكتوب بأشكال كثيرة ومتعدّدة من الكتابات والمطبوعات؛ أي بـ: "رسوم وأشكال حَرْفِيَّة تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس .." (15).

وتعد الكتابة من مكملات الكلام الشفهي.

ثالثاً: التواصل اللفظي: يشتمل هذا النوع على كلّ أشكال التواصل الإنساني التي يعبر عنها شفهيًا أو كتابةً. (16)

التواصل غير اللفظي

التواصل غير اللفظي هو العملية التي يتم من خلالها تبادل الأفكار والمعاني بين الأفراد بدون اللفظ. فالتواصل خارج منطوق اللغة، ينعت أحياناً باللغة الصامتة وحيناً بلغة الجسد، وفي بعض الأحيان بفعل الإشارة أو الحركة ، وحسب تنظيمات الأشياء، واللباس وطريقة الجلوس واستقبال الضيف الخ ...

و يتمظهر أحياناً أخرى في الأقنعة والرقص والألوان والروائح. كلغات استخدمها الإنسان إلى جانب لغات أخرى غير لفظية.

ووفقاً لهذه الاعتبارات تقوم كل حاسة، بوظائف وأدوار خاصة خلال ممارسة الإنسان شعائره وطقوس احتفالاته، فقد تهيمن لغة الرائحة، وتتداخل مع لغة اللون، التي تخاطب العين بلغة الرمز، هذا فضلاً عن لغة اللمس .. ، أي أن كل خلية حسية تحمل نوعاً معيناً من المستقبلات (17).

أدوات التواصل غير اللفظي

أ- **العينان :** هي أكثر أدوات الاتصال غير اللفظي صدقاً وثقة. و اتصال الأعين هو أكثر وسائل التأثير الشخصية التي نملكها .

ب- **تعابير الوجه :** مثل الابتسامة، فهي جزء أصيل من لغة الوجه .

ج- **لغة الجسد :** هي الأحوال التي تكون عليها أجسامنا أثناء الوقوف والجلوس والمشي وهي ترسل رسائل غير لفظية .

د- **اللمس :** بداية بالمصافحة ونهاية بالاحتضان وهي تعبر عن مشاعر التشجيع والحنان والعطف .

هـ - **الملابس :** نوع ملابسنا وألوانها تدل على مكانتنا و وظائفنا ومستوانا الاجتماعي .

و- **الديكور :** هي الطريقة التي يستخدمها الناس في ترتيب مكاتبهم وترتيبها .

ز- **الروائح :** فهي تعطي رسائل عن ذوق الشخص وطبيعة عمله ومستواه الصحي والاجتماعي .

ح - **الصوت :** هو أداة التعبير عن شخصيتنا، فهو يعكس ما بداخلنا ويعبر عن انفعالاتنا وحالاتنا العاطفية والنفسية .

ط - **المسافات :** ويقصد بها القرب أو البعد المكاني ويعرف بالمساحة الشخصية أو الحيز المحيط بالشخص .

فالعلمية التواصلية ، وفق هذا المفهوم ، تتطلب تفاعل الشخص في تجاربه اليومية الممتدة عبر الزمان والمكان مع الآخر أو مع موضوعات العالم، وتوسيع وسائله التواصلية لتطال آليات أخرى ليست دائماً لفظية وصريحة؛ " فقد تكون حركية وقد تكون إيمائية، وقد تكون وجدانية داخلية، تتجسد أحياناً في بعض المشاعر أو السلوكات ، أو من خلال لعبة الأشكال والألوان والأنغام التي تتكلم معنا، وتولد فينا إحساسات

أو ذكريات" (18) ؛ أي أن مظاهر التواصل غير اللفظي تشكل قناة تتداول رسائلها من فرد لآخر أو من مجتمع لآخر..

يقول فرويد: " من له عينان يرى بهما يعلم أن البشر لا يمكن أن يخفوا أي سر، فالذي تصمت شفتاه يتكلم بأطراف أصابعه، إن كل هذه السموم تفضحه" (19).

ويفرق بين التواصل اللغوي وغير اللغوي : **فـالـلـغـوي اللفظي** يستعمل من أجل نقل أخبار ومعارف، **وغير اللغوي/ غير اللفظي** يعبر بالخصوص عن العلائقي " (20).

وهكذا يمكننا القول إن عبارة التواصل غير اللفظي تستعمل للدلالة على حركات وهيئات وتوجهات الجسم وعلى خصوصيات جسدية طبيعية واصطناعية ، وألوان مثل: نظام إشارات المرور، والأيقونة: مثل: صورة شخص أو خريطة بلد. **والمؤشر Indice**: وهو ما يخبر عن شيء مستتر كالدخان، فهو مؤشر على النار إذا لم تكن مرئية، وعلامات الوجه قد تكون مؤشرا على فرح أو غضب أو حزن. **والرمز Symbole**: مثل: الحمامة رمز للسلام، و الميزان رمز للعدالة (21).

جاء في كتاب (البيان و التبيين) في باب (البيان)، قول الجاحظ : البيان هو "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله، كائن ما كان ذلك و من أي جنس كان ذلك الدليل، لان مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع، إنما هو: الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، و أوضحت عن المعنى، فذاك البيان في ذلك الموضع" (22).

و يحدد هذه الوسائل التي تؤدي الوظيفة التواصلية التي تفهم معنى من المعاني بلغة ليست بالضرورة هي لغة الكلام، فيقول : " جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة" (23).

ومن بين هذه الوسائل التي تؤدي وظيفة التواصل بين المرسل والمرسل إليه : (الإشارة) ، وإن كانت تعني عند البلاغيين الإيحاء بالكلام الموجز . يعبر الجاحظ عن وظيفتها التواصلية بقوله : "الإشارة .. كاشفة لما لا يستطيع اللفظ أن يبوح بسرّه في حال من الأحوال" (24).

ولذا فتواصلها يتم بواسطة أعضاء الجسم: كالحواجب والأجفان و الشفاه و الأعناق و الأيدي و قسّمات الوجه، و غير ذلك مما يعبر بالحركة عن حاجة النفس و أساريها. وتستقبل فقط بحاسة النظر العيني

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة: من البسيط

العينُ تُبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا
والعينُ تنطق والأفواه صامتة حتّى ترى من ضمير القلب تبياناً (25)
وقال آخر: (ينسب إلى علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ورضي عنه) :
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للمرء أنّ تنطق أفواه

النصبة أو الحال:

و في تعريف " النصبة " يقول الجاحظ في "البيان والتبيين" و أما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، و المشيرة بغير اليد " (26) ، ويكون المرجع فيها تدبيراً عقلياً ذاتياً، لا صفة موضوعية في الأشياء نفسها ؛ أي أن "النصبة" هي ما توحى به الأشياء لعقل الناظر و ذهن المتبصر. فإن لم تجب حواراً، أجابت اعتباراً (27).

وقال شاعر في هذا المعنى: من الرجز

ومعشر صيد ذوي تجلّة ترى عليهم للندي أدلّه
وقال عنتره بن شدّاد العبسي وجعل نقيب الغراب خبراً للزّاجر: من الكامل:

حَرَقُ الجَنَاحِ كَأَنَّ لَحْيِي رَأْسَهُ جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَّعٌ⁽²⁷⁾
وَأُنْشَدَ أَبُو الرُّدَيْنِيِّ الْعُكْلِيَّ فِي تَنْسَمِ الدَّنْبِ الرِّيحَ وَاسْتَنْشَاقَهُ وَاسْتَرْوَا حَهُ: مِنَ الرِّجْزِ:
يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ⁽²⁸⁾
- التواصل بحاسة البصر

حاسة البصر أدواتها العين وتشكل دعامة أساسية في تواصل الإنسان مع محيطه ، وتقوم بمهمة أساسية في عملية إدراك المحيط ، بحيث تسنح للناظر بتكوين علاقات ونسج روابط وإدراك رسالات ، فمثلاً، نظرة هادئة وحالمة قد تكون مبعث جذب وإثارة، وعين دامعة قد تكون رسالة ألم افتقاد حبيب أو قريب، كما قد تعبر عن الفرح والحنين، وعين متسعة حدقتها تشي بتملك الخوف لكائن بشري ما.
قال الإمام أبو عبد الله القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «تفسيره»: «البصرُ هو البابُ الأكبرُ إلى القلبِ، وأعمَرُ طرقِ الحواسِّ إليه، وبحسبِ ذلكِ كَثُرَ السُّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ، وَوَجِبَ التحذيرُ مِنْهُ، وَغَضُّهُ واجبٌ عن جميعِ المُحَرَّمَاتِ، وَكُلُّ ما يُخَشَى الفتنَةُ مِنْ أَجْلِهِ»⁽²⁹⁾.
ولقد سجل القرآن الكريم أثر عملية التواصل العينية على المستقبل فقال : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وَلَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)⁽³⁰⁾، أي في الجنة ما تستلذه الأعين، وتقر بمشاهدته .

وقد بني التواصل على الاستعارة المكنية (تَلَذُّ) حيث شبه المشاهد في الجنة بشيء مطعوم أو مشروب ثم حذفه وأبقى لازمة من لوازمه هو اللذة (تَلَذُّ)، وهكذا نجد أن من صفات الألفاظ المستعارة أنها تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأفواه ، وتصور المنظر للعين مثلما تنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسناً .

ومن هنا جاءت أهمية هذه الحاسة، لا سيما وهي بوابة جهاز التغذية الجسمية، حيث مجال متعة الأطعمة والأشربة ، وإن كانت هذه المتع تتفاوت جمالها ولذتها؛ إذ أن "لذة إرواء الظمأ لطف من لذة إشباع الجوع، وأدنى منها إلى المشاعر الجمالية، ولعل سبب ذلك هو أن إرواء أسرع فعلا في إنعاش الجسم"⁽³¹⁾.

التواصل بالألوان .

لا ينكر أحد أن اللون هو من المواد المشتركة بين الرسام والأديب، وإن كان الأديب يتعامل مع اللون عن طريق اللغة، باستخدام الكلمات الدالة على اللون أو الموحية به.
واللون يأخذ بعداً رمزياً ودلالات سيكولوجية لدى المجتمعات، لارتباطه بمشاعر إنسانية مختلفة، فالأحمر مثلاً يدل على التضحية والجهد، والأسود يرمز للحداد والظلم..، والأبيض يعلن السلم والطهارة، وهكذا.

وللون -في التوظيف اللغوي- قدرة إيحائية وتعبيرية يستخدمها المرسل لتمرير فكرته وتحقيق أهدافه.
وفي القرآن الكريم رصد التواصل بالألوان من مختلف مظاهر الكون والحياة، فأصدر منها تشكيلات مختلفة تجعل الإحساس بالجمال والإيحاء فيها مختلفا ومتفاوتا من صورة تواصلية إلى أخرى.
فمثلاً، تستوقفنا ألوان مختلفة في هذه اللوحة؛ إذ يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)⁽³²⁾.
إن جميع الحواس هنا تعمل بصورة تعاونية، وإن كانت بعض الظروف أحيانا لا تسمح لبعضها بالعمل، وتعطل إدراكها، مثل الظلام، فإنه يعطل حاسة البصر، ويصيبها بالاضطراب، فلا تدرك إلا بمساعدة حواس أخرى كالسمع أو اللمس أو غيرهما.

وهذا ما يجعلنا نقول مع القائل إن "الكيفيات البصرية لا يمكن أن تبقى قائمة بذاتها في استقلالها عن الكيفيات اللمسية التأثيرية"⁽³³⁾ لأن للحواس الأخرى أيضا جماليات وإدراكات وقدرات تخيل وتميز لا تتوفر عليها حاسة البصر، بل إن "الإحساسات التي تحدث بالتماس المباشر، كالإحساسات اللمسية

والإحساسات الناتجة عن تنبيه كيميائي كما في الشم والذوق تكون كفيتهما الوجدانية من ارتياح أو عدمه، أو من لذة أو ألم أقوى منها في الإحساسات البصرية⁽³⁴⁾.

أي أن الحواس الأخرى أيضاً تملك من الإحساسات ما ترقى بها إلى مستوى الشاعرية كحاسة البصر، يقول أحد النقاد: " العيون والأذان والبشرة شاعرية بصورة فعالة وليست مجرد مسجلات للمعلومات الحسية"⁽³⁵⁾.

ويقول آخر: "إن حس اللمس يتيح لنا دائماً أن نشعر بإحساسات فنية من كل نوع حتى لا يستطيع ينوب مناب البصر إلى حد بعيد"⁽³⁶⁾.

ومن هنا فإننا لا نستطيع أن ننفي الإدراكات الجمالية والتأثرات اللمسية والالتذاذية عن الحواس الأخرى، فقد تطلعت حاسة اللمس مثلاً عن جمال معين تعجز عن توصيله إلينا حاسة البصر، وكذلك الأمر بالنسبة للحاسة السمعية، والحاسة الذوقية...

والقرآن الكريم خاطب في الإنسان جميع حواسه وجميع ملكاته قصد التبليغ الكامل والوافي للرسالة، وذلك لما تتميز به كل حاسة من إدراك وإحساس خاص لا نستطيع إدراكه أو الإحساس به حاسة أخرى. ولعل مثل هذا التواصل التصويري نجد له مثيلاً عند بشار بن برد⁽³⁷⁾ في قصيدته التي يتغنى فيها بقينة (مُعَنِّيَّة)؛ إذ يقول: البسيط.

وذا دَلَّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صَوْرَتَهَا
بَاتَتْ تَغْنِي عَمِيدَا الْقَلْبِ سَكَرَانَا
إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ
وَالْأَذُنُ تَعْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
فَقُلْتُ: أَحْسَنْتُ! أَنْتِ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ
أَضْرَمْتَ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ نِيرَانَا

يصف هذه الْمُعَنِّيَّةَ وصفاً عينياً بحاسة السمع (تراسل الحواس) ، و بمعجم الجمال: (ذات دل، البدر، العيون الحور، الشمس) الذي لا يدرك إلا بحاسة البصر ، فيصفها بالبدر أحياناً ، وبالشمس أحياناً أخرى ، ويصف عينها بلون معين .

ويرسم (بشار بن برد) صورة تواصلية أخرى أدق وأوسع ، على الرغم من عاهته البصرية، إلا أنه عبر عما يقع في المعركة من إثارة غبار ، ولمعان سيوف ورماح بصورة مركبة ، يقول فيها:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ... وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
فإن وجه الشبه فيه -مجموع الهيئة المنتزعة من تساقط أجرام مشرقة، مستطيلة الأشكال، متناثرة في جوانب شيء مظلم -ولا يصح في الذوق البلاغي جعل واحد من هذه الأشياء وجه شبه على حدة، لأن الشاعر قصد إلى تشبيه الطرفين في الهيئة المجتمعة -كما لا يصح إسقاط واحد منها- في اعتبار المرسل - لصيرورة الهيئة وحدة متضامة الأجزاء.

إن هذا التواصل بتراسل الحواس قد ألمع إلى طبيعته حازم القرطاجني⁽³⁸⁾ في قوله: "إن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى المحاكاة بالمتلونات من البصر"⁽³⁹⁾.

- التواصل بحاسة الشم

فالرائحة مدونة كيميائية علائقية، تثير الذكريات أكثر مما تثيرها الصورة والصوت، كما هو الشأن في طقوس جماعة "كناوة" بالمغرب، وجماعة "ديوان سيدي بلال" بالجزائر ؛ حيث تعتمد هذه الجماعات في طقوسها على روائح البخور في بث رسائل متعددة إلى كل مرديها . وتلعب أدواراً ووظائف متعددة نجد من بينها⁽⁴⁰⁾:

- توحى بالفرح كما بالحزن وبالألم كما بالحنين..
- تساعد على التمييز بين الأفراد و على التعرف عليهم . (مثل الكلاب) تستخدم في أمور هامة وحيوية.
- تساعد على تحديد أماكن القوت وعلى اكتشاف القطيع في حالة الضلال عند الحيوان. كما نجد ذلك عند النحل - مثلاً- حيث خصه الله بحاسة شم قوية تمكنه من التعرف على مصادر حبوب لقاح الأزهار ، وعلى موقع خليته، كما يتمكن الفرد من تحديد مؤسسة المنطقة .

- تمكن من خداع حضور العدو.

- توظف كوسيلة للدفاع فهي عبارة عن جرس إنذار تنذر الإنسان من خطر داهم ، مثل رائحة غاز محرق أو دخان مميت أو غاز سام أو غيره. إذن، الشم يعطي الفرد دارة أمان واسعة جداً.

ولذا قيل إن "الإحساسات الناتجة عن تنبيه كيميائي كما في الشم والذوق تكون كفيتهما الوجدانية من ارتياح أو عدمه، أو من لذة أو ألم أقوى منها في الإحساسات البصرية"⁽⁴¹⁾.

و لكل شخص رائحة خاصة به يفرزها جلده بشكل طبيعي ، وهي مواد كيميائية يفرزها البشر والحيوان خلال لحظات التوتر والخوف والشهوة، و يحملها الهواء .

ويقول الباحث في حاسة الشم (هانس هات) إن هناك تفاعلاً قوياً بين حاسة الشم والعاطفة . فقد تؤدي روائح مميزة إلى تفعيل ذكريات عاطفية معينة .

كما " أن استرجاع ذكريات أو لحظات معينة في الحياة عن طريق حاسة الشم أمر وارد في حياة الإنسان مهما ابتعد زمنياً عن هذا الحدث. فمن اللحظة الأولى التي يولد فيها الإنسان تقريباً، تكون حاسة الشم ملازمة له، ويكون قادراً على التعرف على رائحة حليب أمه ابتداء من اليوم الأول ويظهر الاشمزاز على وجهه إذا استنشق رائحة كريهة"⁽⁴²⁾.

- التواصل بأعضاء الجسم

إن السيرة النبوية اشتملت على كثير من الإشارات الدالة بسمات الجسم ؛ حيث جاء الحديث عن التعبير بالوجه أو سمات الوجه بما ورد في هذا الحديث ، مثلاً : عن عبد الله بن سلام قال: "أول ما قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المدينة أنجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"⁽⁴³⁾.

وهكذا يتأكد لنا أن التواصل يتم بغير اللغة، فمثلاً: تُقرأ الأسارير على الوجه، وتتنضح دواخل الباطن على الوجه، إذ " بالوجه يتم التصوير الحقيقي لباطن الإنسان، فما يدور في خلد المرء وفي باطنه، ترى آثاره على ملامح الوجه، فتقرأ هناك بوضوح وجلاء، ويتفهمها أكثر أهل الفراسة "⁽⁴⁴⁾؛ أي أن الإنسان يتأثر ظاهره بباطنه، فإذا كان القلب شفافاً ظهر أثر ذلك على الوجه، وعلى البدن كله. وقد كان وجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كلما تَغَيَّرَ شيء طارئ، سُجِّلَ ذلك التغيُّرُ على الوجه، فقرأه الصحابة الذين كانوا يلاحظون ذلك جيداً.

ففي حديث هند بن أبي هالة الذي يصف فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "... وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غص طرفه، جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام..."⁽⁴⁵⁾.

فالابتسامة ، مثلاً، هي تواصل غير ملفوظ وغير مكتوب، إذ من خلالها تمر الانفعالات والمشاعر، ومن خلالها يتم التعبير عن المودة والمحبة. والابتسامة موضعها الوجه، وهو المحيا، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ"⁽⁴⁶⁾.

- التواصل باليد

كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يرفق كلامه بإشارات بيديه الشريقتين، فيزداد المعنى وضوحاً وتثبيتاً. ومن ذلك مثلاً ما روي عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين. وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً"⁽⁴⁷⁾.

وقد كان استعمال الرسول لليد في التعبير واضحاً في العديد من أقواله وأفعاله، ويجمل ذلك ابن أبي هالة في حديثه عند وصفه المشهور، حيث يقول: "... إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى..."⁽⁴⁸⁾.

إن الإشارة باليد تعين المتلقي من خلال تتابع حركات المتحدث وسكناته على التركيز والتتبع، وتزيد في بيان الكلام وإيضاحه وتأكيده . و يمكننا القول : إن " العيون والأذان والبشرة شاعرية بصورة فعالة وليست مجرد مسجلات للمعلومات الحسية"(49).

- وظيفة الحاسة اللمسية :

تُعَدُّ حاسة اللمس أول وسيط تواصل، اعتمده الإنسان في عملية التمييز بين مختلف المثيرات الحسية، إذ عَبَّرَ الملامسة يتم إدراك الإشارة الخارجية بشكل مباشر..، "إنه الوسيط الذي حول الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن سيميولوجي، يميز بين اللمسة الباردة والحارقة، الناعمة والخشنة، الحميمة.. الخ"(50).

ومن الدلائل على ذلك من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وضعه يده على يد مخاطبه أو على منكبه، ليثير انتباهه بذلك الفعل، وليشعر المخاطب بالاهتمام الذي يوليه إياه ، و بما يعلمه ويلقنه، ومن ذلك ما يرويه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "علمني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكفي بين كفيه، التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن..." (51). ومنه أيضا ما رواه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور"(52).

- التواصل بالجسد

تؤدي أوضاع الجسد أثناء الحديث دوراً مهماً للغاية في عملية التواصل ، فلقد كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يعطي كل واحد من جلسائه حقه من الالتفات إليه والإقبال عليه . وفي ذلك يروي البخاري عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور.. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" (53). فالجلوس بعد الاتكاء دليل على خطورة ما يتحدث به أو يحذر منه، و يَحْمِلُ ، في الوقت نفسه ، مخاطبيه على التفاعل المتبادل بما يثيره من انفعال أثناء الحديث.

و هكذا يمكننا القول : إن الآليات غير اللفظية التي لها وظيفة تواصلية تتكون مما يلي:

- حركات الأجسام ، وأوضاع الجسد: مثل التواصل بالإشارات، وتعابير الوجه، وتعابير أخرى، وأوضاع الجسد....
- الإشارات الدالة على القرب: يتعلق باستعمال الإنسان للمجال المكاني.
- التواصل اللمسي والشمي والذوقي والبصري والسمعي إلى درجة نستطيع فيها إبعاد أنساق دلالية غير لفظية أخرى قائمة أيضا على السمع والبصر.
- التواصل الشبهي: هي الأنساق القائمة على أشياء يروضها الإنسان، وينتجها، ويستعملها: ثياب وحلي وزخارف وأدوات مختلفة وآلات بناء من كل نوع وموسيقا وفنون رمزية.
- التواصل المؤسساتي: المقصود به كل أنواع التنظيمات الاجتماعية، وبالتحديد كل الأنساق المتصلة بروابط القرابة والطقوس والأعراف والعادات والنظم القضائية والديانات والسوق الاقتصادي.

(54)

3- الاستهلاك الاجتماعي.

إن "إمكانية الفهم المتبادل " بين مستعملي اللهجات العربية ما زال أمراً مكنأً، ولاسيما في ظل بقاء اللغة العربية الفصحى قاسماً مشتركاً بين هذه اللهجات، حيث تسود الفصحى في أنماط التواصل الرسمية والمكتوبة في شتى البلدان العربية، في حين تستخدم اللهجات في شتى أنماط التواصل غير الرسمية. إلا أن التعددية اللهجية واللغات الأجنبية مقابل الأحادية اللغوية الفصحى ، لا شك تؤثر و تحتم التغيير اللغوي على المدى البعيد ومن ثم تتأثر " الكفاءة اللغوية الذهنية " على إمكانية الفهم المتبادل بين اللهجات المحلية والعربية الفصحى. وتهيمن سلبياً على تعلم الفصحى للأطفال العرب، لأنهم يتشربون اللهجات

المحلية من خلال" الاكتساب الطبيعي) "، في حين نجدهم يتعلمون العربية الفصحى من خلال" التدريس الرسمي" (55).

" فإذا أخذنا – على سبيل المثال – أحد هذه" المجتمعات اللغوية "العربية مثل مجتمع مصر، نجد أنه – إلى جانب العربية الفصحى السائدة في فصول الدراسة، والخطب الدينية، والأحاديث الرسمية في الإذاعة والتلفزيون،

وأنماط التواصل الرسمي من خلال الكتابة والقراءة، وبعض المسلسلات وأفلام الكرتون تهيمن اللهجات المحلية، التي يمثل كل منها نظاماً لغوياً مختلفاً، على شتى أنماط التواصل. فعلى سبيل المثال، تهيمن لهجة "العربية القاهرية" على سائر اللهجات المحلية، من خلال المسلسلات، والبرامج التلفزيونية والإذاعية، والأفلام الكرتونية والأغاني، هذا بالإضافة إلى حرص الكثير من الآباء والأمهات في صعيد مصر على اكتساب أبنائهم للعامية القاهرية باعتبارها رمزاً للتمدّن والتميّز" (56).

إن الفروق اللغوية بين أي لهجة من اللهجات المحلية وأي لهجة أخرى هي فروق جوهريّة على المستويات اللغوية المختلفة: المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الصوتي، المستوى الدلالي، المستوى المعجمي..

ولعل جذور هيمنة اللهجات المحلية على اللغة العربية الفصحى في العالم العربي تكمن في " أن النمط اللغوي الذي يتعرض له الطفل العربي منذ نشأته، ويعيش فيه، ويتشربه ويتقنه هو في واقع الأمر اللهجة المحلية وليست العربية الفصحى...والاكتساب يتم بنجاح كامل منذ الطفولة المبكرة، وبطريقة مباشرة وطبيعية، ودائمة طوال الحياة اليومية، في حين أن التعلم الرسمي يتم عند الالتحاق بالمدرسة..في سياق مملوء بالمشكلات والصعوبات" (57).

وتترتب عن هذه الهيمنة للهجات المحلية خطورة التفكير باللهجة المحلية، وليست العربية الفصحى؛ لأن التفكير يتم – عادة - من خلال النظام اللغوي الأكثر رسوخاً في الذهن. والطفل قد اكتسب اللهجة المحلية منذ فترة الطفولة المبكرة، ومن ثم فإن الطفل يجد صعوبة في التوصل إلى المعنى الدقيق للنص. مما يجعله يلجأ إلى ممارسة" الترجمة الذهنية" من الفصحى التي لا يستطيع فهمها بسهولة إلى اللهجة العامية التي يتقنها ويفكر فيها.

وهذه العملية تشوه المعنى القائم في النص الأصلي وفي النص الهدف. لأنها مشوهة مرتين ؛ مرة من خلال الترجمة الذهنية ، ومرة عند التعبير عنها باللغة الهدف.

وقد يصل الأمر عند المتحدثين باللهجات العربية المتباعدة مكانياً إلى تعذر الفهم المتبادل ، أو إلى انعدامه تماماً ، فقد لوحظ – مثلاً – "حالات عدة من انعدام الفهم المتبادل كلية بين المتحدثين باللهجة المحلية المغربية والمتحدثين باللهجة المحلية المصرية، ولاسيما عندما يكون هؤلاء المتحدثون من الأميين الذين لا يجيدون العربية الفصحى" (58).

أما عند المثقفين والمتعلمين فإنهم يجدون صعوبة ، أيضاً ، في الفهم المتبادل بسبب الاكتشافات أو الاختراعات الجديدة – مثلاً - في مجالات تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات، والإنترنت، والحاسوب والتي لم يكن لها وجود قبل التوصل إلى هذه الابتكارات، التي تتطلب اختراعاً مصطلحاتاً لها .

وبالنظر إلى واقعنا اللغوي الذي لا يبدع تكنولوجيا ، وإنما يستهلك ما أنتجه الآخرون وبلغتهم ومصطلحاتهم ، فإننا نجد صعوبة في توحيد المصطلحات المترجمة أحياناً والمتسلسلة عن طريق اللهجات أحياناً أخرى عموماً.

ففي الترجمة يكون نصيب العربية الفصحى من هذه المصطلحات الجديدة هو ما تترجمه المجامع اللغوية في شتى البلدان العربية، والتي تعتمد مرجعيات فكرية ولغات أجنبية متعددة في فهم المصطلح وفي إيجاد ما يناسبه في العربية ، فينشأ عن ذلك تعدد المصطلحات واختلافها، مما يحدث فوضى وصعوبة في الفهم المتبادل .

فاللغة في عالم الاقتصاد، تعتبر قيمة مضافة لأي إنتاج اقتصادي على اختلاف طبيعته، فعن طريق الاقتصاد المادي والمالي تضمن انتشار الاقتصاد المعرفي القائم على "صناعة المعرفة". وهذا ما قصده

" ستالين" (59) في مقولته " اللغة أداة من أدوات الإنتاج" (60). لأنه يعي بأن اللغة أداة لنقل المعرفة والعلم والثقافة والمشاعر والأحاسيس ، وابتقانها و تطويرها وتوظيفها يحدث الفعل والانتشار والتأثير في الواقع وفي الحضارة. فعملية التواصل تؤثر لغوياً عن طريق المجال التكنولوجي والاقتصادي ، ولكنها تسهم في بناء مجتمعات متحضرة ، وترسم معالم التنمية في شتى جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعرفية .. الخ.

" أما بقية التغيرات اللغوية التي تطرأ على شتى جوانب اللغة فتصب في اللهجات المحلية. ونحن لا ننسى في هذا السياق ظاهرة " الابتداع اللفظي " ، حيث يفاجئنا الشباب كل يوم بألفاظ عامية جديدة لم يسبق لنا سماعها أو استخدامها، مما يزيد من حجم الفجوة بين العربية الفصحى واللهجات المحلية، ومن ثم المزيد من هيمنة اللهجات المحلية" (61).

هذا بالإضافة إلى أن هيمنة اللغات الأجنبية التي تنتج تكنولوجيا ومواد اقتصادية على اللغة الأم من شأنه أن يؤدي إلى **التدافع اللغوي** وإلى تداعيات اقتصادية سلبية .

ولقد قُدِّمَ بحثٌ (62) حول دور اللغة القومية في التنمية الاقتصادية، وفي بناء رأس مال الاقتصاد البشري، مفاده أن الاستثمار بلغة ثانية يكون عائد مقصوراً على المجال الاقتصادي وحده، ولا يخلو من نواقص تشوبه أيضاً. وسماه بعضهم بوظائف اقتصاد اللغة ونظرياتهما. ووظائفها خمس، وهي:

1. اللغة تضمن تبادل المعرفة والخبرة بين الأفراد والمؤسسات، مثلما يحقق المال تبادل السلع.
2. إتقان اللغة العلمية من قبل القوى العاملة يحقق نقل التقنية من منابعها العالمية.
3. العمل المشترك يقتضي لغة علمية وتقنية مشتركة ويحقق زيادة الدخل، ولا يتسنى ذلك إلا باللغة الأم.
4. تحويل العلم والتقنية إلى اقتصاد منتج يحتاج إلى لغة.
5. بناء مجتمع المعلومات يقتضي المعرفة والتقنية من قبل القوى العاملة وكامل المجتمع، ولا يتسنى ذلك إلا باللغة الأم.

وفي النموذج اللغوي في الجزائر ، يقول رئيس المجلس الأعلى للغة العربية : " تعاني الجزائر حالياً من مشكل **التهجين اللغوي** الذي يظهر من خلال اللغة المتداولة في المجتمع الجزائري، وحتى المجتمع العربي بصفة عامة، ولهذا أصبحت اللغة العربية تعيش أوضاعاً انتكاسية بالنظر إلى الواقع اللغوي العربي الحالي الذي نتج عنه هجين لغوي متنام ومطرّد، وهذا من خلال الاستعمال والممارسات اللغوية لخليط من الأنماط اللغوية من مختلف لغات الاستعمال اليومي على غرار العربية، الفصحى والدارجة واللغات الأجنبية. " (63).

ويضيف الدكتور صالح بلعيد قائلاً : ولعل أهم المصادر الذي شوه لغة الضاد وخلق هذا الخليط اللغوي " هو الإعلام بمختلف قنواته بالدرجة الأولى، خصوصاً الفضائيات وما تحمله من إبداعات لغوية من خلال وصلات الإشهار، مثلاً تأتينا حمولة ثقافية مرنة بسيطة سهلة على الحفظ تعمل جاهزة على الإقناع بما تحمله وباللغة الحاملة لها، وتعمل **لغة الإشهار** وهذه القنوات على تجاوز المألوف والتحرر إلى حد ما من سلطة اللغة الثابتة، فتعمل على إحداث الكسر اللغوي والانحراف عن سلطة النحو وتلجأ إلى التهجين اللغوي الذي تراه وسيلة لتأدية رسالتها.

أما المصدر الثاني للتهجين هو **الإنترنت** ولغة "الأرابيش" التي تعتبر مزيجاً من **الكلام بالعربية الدارجة والكتابة اللاتينية والرسائل القصيرة** التي تحمل في طياتها اقتراضات لغوية وعرفاً خاصاً في كتابة الرسائل الإلكترونية، إلى جانب **دور الأغاني** التي تعمل على إيجاد فجوة في التواصل اللغوي، بما تحمله من مزيج من صور الأغاني التي لا يتحكم فيها حسن الأداء ولا انتقاء الكلمات النظيفة ولا ترنيمات الموسيقى الهادئة" (64). وإن كانت الفنون وسيلة تواصلية وحوارية بين المبدعين لتطوير إبداعاتهم وتحقيق التواصل الحضاري وبناء العلاقات.

وينبه إلى خطورة هذا **التواصل المهجن** بالوسائل التكنولوجية المتطورة فيقول : " يشكل التهجين اللغوي نوعاً من **الاغتراب الثقافي** الذي يؤثر سلباً على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، ... ويؤدي هذا إلى **هشاشة في التواصل** وهو نوع من **الاستعمار الثقافي الذهني** الأعمى التبعية، كما ينتج لنا جيلاً لا يتقن

أي لغة. ... وأنه يمكن أن يوقع هؤلاء كأسرى ثقافات غير عربية إذا اعتبروا أن هذا التهجين يحقق لهم التواصل العالمي والأمل في التقدم، ..ويخلق نوعاً من التواصل الاستعماري بامتياز أو استعمار فكري لغوي جديد فيزيدهم اغتراباً عن لغتهم الوطنية وتفكيك وحدتهم الثقافية. (65)

ويربط باحث آخر مسألة الاستقرار الاجتماعي بالأمن اللغوي ؛ إذ يرى: " في التطورات التقنية الرقمية الجديدة وسيلة للأمن (و للتواصلات في مختلف الميادين) ، وفي نفس الوقت للأمن، إذا لم نطور لغتنا ونعتبرها حصناً وثغراً لهويتنا، ومن هنا يصبح "الأمن اللغوي والثقافي مرتبطاً بالأمن الاجتماعي والسياسي" (66).

وأضاف المحاضر إن "الثنائية اللغوية" غير المنتجة تحدث التمزق اللساني، الفكري والاجتماعي، فيكون اللا استقرار والخلل في العلاقات التواصلية بين الفئات الاجتماعية والنخب... فالحدود الجديدة تستدعي تعبئة من نوع خاص، وهي؛ "حدود اللغة والهوية" (67).

وهنا لا بد لنا من التفريق بين الازدواجية اللغوية وبين الثنائية اللغوية :

فالازدواجية اللغوية تعني وجود لغتين من نفس النظام اللغوي، كالعامة والفصحى.

أما الثنائية اللغوية فهي وجود مستويين لغويين مختلفين ليسا من نفس النظام اللغوي في لغة قوم وعلى بقعة جغرافية محددة ، ومثالنا على ذلك وجود اللغة العربية والفرنسية في لغة سكان المغرب العربي الكبير. (68)

ويستعمل بعض المثقفين السياسيين والمؤرخين مصطلحي (69): "الاحتلال العقلي" و"الاحتلال اللغوي" للتعبير عن الذوبان في شخصيات الأجانب ألسنة وسلوكاً وتصرفاً .

فيرى بعضهم بأن " الأمة -أية أمة- " لا تكون أمة إلا بها" (وحدة اللغة)، لأنه من المستحيل على أبناء تلك الأمة أن يكونوا كياناً واحداً منسجماً من دونها ؛ فهي كما يقول الفيلسوف الألماني (فيشته) (70): "رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة، والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعباً أصيلاً، أو مجرد أشتات فحسب"، وقد عدها "هي القوة الطبيعية الأولى للأمة"، وأنها "الأسمنت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية" (71).

ويرى بعض الباحثين أن وسائل الإعلام قد أسهمت بدور سلبي في إدراج مصطلحات عامية ؛ مثل : (الشكارة، و"الحَلّابة" و"الشَيْتة" و"الأرانب"....) إلى الاستعمال اليومي في السياسة والإعلام، مما أضفى على اللغة طابع السذاجة والرداءة والسخرية ، يقول عن ذلك أحد الباحثين في علم الاجتماع :

" إن السياق الذي ظهرت فيه المصطلحات هو سيوسيو- ثقافي جديد ، يتجلى ببروز مفاهيم ومصطلحات أصبحت شائعة التداول، خاصة في الحقل الإعلامي، الذي يتميز بالتنوع الإيديولوجي لمختلف وسائله، ولعل ما يجب تسجيله كملاحظة أولية أن المصطلحات انتقلت من التداول العامي إلى مستوى التداول الإعلامي، وهذا ما يفسر أن اللغة الصحفية المستعملة في مختلف وسائل الإعلام بتوجهاتها الحزبية والعمومية، يغلب عليها طابع "السذاجة"، أو ما يعرف بـ"لغة السخرية الاجتماعية"، أو مفهوم "الرداءة اللغوية" (72).

و ربط المتحدث متغيرات تحوّل خطاب الشارع إلى خطاب الصالونات ووسائل الإعلام بالتعددية السياسية وما رافقها على الصعيد الإعلامي، حيث يقول : " ففي بداية التجربة كانت هناك "نخبة" مثقفة وواعية بمسؤولياتها الإعلامية، وأعطت "نموذجاً" جزائرياً محضاً في الممارسة الديمقراطية، وهو ما خلق منافسة بين مختلف المحطات الإعلامية العربية على استقطاب الصحفيين الجزائريين، عكس مرحلة التدهور الأخلاقي والقيمي.. التي بدأت مع مرحلة الانزلاق والانحراف في الممارسة السياسية التي تتطلب مبدأ التداول على السلطة سلمياً، ديمقراطياً وإعلامياً، .." (73)

وهكذا يمكننا القول إن طغيان مصطلحات قاموس الشارع على اللغة في التواصل يعود للخطاب السياسي والإعلامي في الجزائر، - حسب - رأي الدكتور دبيش الذي يرى بأن القاعدة السياسية تقول إن كل نظام سياسي يخلق ثقافة سياسية واجتماعية تناسبه ، وتكون في الغالب الأعم مضادة في المخيال الاجتماعي والإعلامي. وهي حالة من العجز في التواصل مع الجماهير.

نستنتج من كل ما أشرنا إليه في هذه الآراء أن تأثير الشارع والممارسين للفعل الإعلامي والسياسي يلعب دوراً توجيهياً في قاموس مصطلحات الخطابات التواصلية، ويوطن لسيادة الثقافة العامة على العلمية، التي تؤدي إلى تغيير النمط الثقافي للمجتمع الجزائري في غياب المؤسسات الاجتماعية. وهذه إشارة إلى الاحتقار للرأي العام، وتدني الذوق العام.

والدليل على ذلك: أن منشطي الحملات الانتخابية تجدهم يوظفون القواميس "الشوارعية"⁽⁷⁴⁾، بغرض استثارة انفعالية الجزائري، وهذا في ظل غياب خطاب سياسي حقيقي يحقق الإقناع ويخاطب العقل. وإن كان البعض الآخر يرى بأن استعارة الألفاظ الشعبية يحقق الانسجام والإقناع والفعل، فهي لا تعبر فحسب، بل تفعل أيضاً، وتسمى (بلاغة الجمهور).

هوامش الدراسة:

1- Helen_Keller Sourde, muette, aveugle : histoire de ma vie trad. de l'anglais par A. Huzard, Payot & Rivages, 2001 (ISBN ...
2 - نفسه.

3 - ينسب ينس أتو هاري Jens Otto Harry Jespersen (1860-1943) عالم لغات linguist وعالم صوتيات phonologist دنماركي. ولد في بلدة راندرز Randers وتوفي في مدينة روسكيلد Roskilde، وأسهم في تطوير تعليم اللغات في المناهج التعليمية الأوربية، كما ساعد بقسط كبير من خلال مؤلفاته المتعددة على تطوير علم الصوتيات والنظرية الألسنية وتاريخ اللغة الإنكليزية، إضافة إلى تأسيس لغة عالمية عُرفت باسم «نوفال» Novial - ينتمي اللساني يسيرسن إلى مدرسة "كوبنهاجن اللسانية".

ينظر: عبد القادر بن عسلة - اللغة وعملية التواصل - مجلة أقلام الثقافية - فبراير 2009.

4 - العبارة مستمدة من قول المسيح عليه السلام: (لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانَ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ) (إنجيل القديس متى 4 / 1) ينظر: <http://ar.aleteia.org/2014/03/08/> روما / أليتيا (aleteia.org/ar).

وينظر: كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت - الإسكندرية - مصر <http://St-Takla.org> الإصحاح الرابع.

5 - (الفرق بين اللغة والكلام هو فرق بين شكل لغوي جامد وواقع لغوي معيش).

ينظر: د. أحمد الهادي رشراش- (ثنائية "اللسان والكلام" وأثرها في الدراسات الحديثة) - صحيفة اللغة العربية - صاحبة الجلالة - www.arabiclanguageic.org/print_page.php?id=1700

6 - د. فتحي علي يونس - التواصل اللغوي والتعليم (وزارة التربية والتعليم) - (د. ط) يناير 2009 م ص 9-10

7 - سورة (ن) - الآية 1.

8 - سورة البقرة- الآية 282.

9 - البيان والتبيين - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان/ (دست) 79/1

10 - Charles Cooley: (social organisation), cité in: J.Lohisse : anonyme.ED.Universitaire 1969, p:42 la communication

ينظر: جميل حمداوي - سيميانيات التواصل اللفظي وغير اللفظي - مجلة: طنجة/الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب 2010.

11 - - وأشار إليه بيده إشارة وشور تشويراً لَوْحٍ بِشَيْءٍ يَفْهَمُ مِنَ النَّطْقِ فَأِشَارَةٌ تُرَادِفُ النَّطْقَ فِي فَهْمِ الْمَعْنَى كَمَا لَوْ اسْتَأْذَنَ فِي شَيْءٍ فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَوْ رَأْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ أَوْ لَا يَفْعَلَ فَيَقُومُ مَقَامَ النَّطْقِ، (الفيومي - المصباح المنير - مادة: ش و ر)

12 - الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان/ (دست) 81/1.

13 - جميل حمداوي- سيميانيات التواصل اللفظي وغير اللفظي- مجلة: طنجة/الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب 2010

14 - فتيحة حداد- آراء تحليلية للمفاهيم المراسية في العملية التواصلية من خلال كتاب: اللغة والتواصل - (عبد الجليل مرتاض) ص 81.

15 - ابن خلدون - المقدمة ص 323.

16 - عز الدين الزياتي - التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي، ص 16 - 17.

17 - محمد سيد فهمي - مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2011م. ص

Paris librairie ¹⁸ - Pinok et Mato, expression corporelle mouvement et pensée 5° édition philosophique 1979 P22

19 - Edward .T.Hall: la dimension cachée.Ed Seuil.Coll. Point, n° 89.1971, P:13 -

- Vigot , Charles Roncin, le corps et les communications humaines , éd ,20 - Pierre Vayer
1986, p, 15
- 21 - جميل حمدوي - سيميانيات التواصل اللفظي وغير اللفظي - الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب. طنجة/-
المغرب. 2010.
- 22 - الجاحظ: البيان والتبيين-45/1.
- 23 - نفسه 76/1
- 24 - نفسه 14/1.
- 25 - أنشده الأصمعي ولم يسم قائله-البيان والتبيين - الجاحظ - 56/1
- 26 - المصدر نفسه 81/1.
- 27 - قال الفضل بن عيسى الرقاشي في قصصه: سل الأرض، فقل: مَنْ شقَّ أنهارك، وغرسَ
أشجارك، وجنى ثمارك؛ فإن لم تُجبك حواراً، أجابك اعتباراً.
- الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الواعظ كان قاصاً يقص بالبصرة..ينظر:كتاب (المجروحين) لابن حبان "باب الفاء
الحافظ الأصبهاني - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (نكر طوائف من جماهير النساك والعباد). دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع -
- 28 - الحرّيق: الأسود شبهه لحييه بالجلّمين لأن الغراب يخبر بالفرقة والغربة وتقطع كما يقطع الجلّمان.
- 29 - المقرّاع الفأس التي يكسر بها الصخر والموقع: المحدّد يقال: وقّعت الحديد إذ حدّدتها
- 30 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. بيروت. دار الكتب، - 1935 - 222/ 12
- 31 - سورة الزخرف - الآية 71.
- 32 - جويور جان ماري -مسائل فلسفة الفن المعاصرة -ترجمة: سامي الدروبي، بيروت، دار اليقظة العربية، ط2 ،
1965.ص 74.
- 33 - سورة فاطر - الآيتان 27..28. (قصر صفة على موصوف (يخشى العلماء) فقد قصر الخشية على العلماء.)
- 34 - جون ديوي -الفن خبرة - ترجمة، تحقيق: زكريا إبراهيم -دار النهضة العربية ، القاهرة، 1963ص 208.
- 35 - عباس محمود عوض -علم النفس الفسيولوجي، دار المعرفة الجامعية- (الإسكندرية) ط9- 1999ص 132-
133.
- 36 - تشارلز فيدلون ألين -الرمزية والأدب الأمريكي، ترجمة هاني الراهب، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،
1976. ص 25.
- 37 - جويور جان ماري -مسائل فلسفة الفن المعاصرة -ترجمة: سامي الدروبي، بيروت، دار اليقظة العربية، ط2 ،
1965. ص 72.
- 38 - بشار بن برد (96هـ - 168 هـ). إمام الشعراء المولدين. عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية .
ولد أعمى، وكان من فحولة الشعراء وسابقيهم المجودين.
- 39 - حازم القرطاجني، (608هـ - 684هـ).. أديب وناقد أندلسي المولد تونسي الوفاة وشاعر مشهور في القرن
السابع للهجرة.
- 40 - حازم القرطاجني، أبو الحسن - منهاج البلغاء وسراج الأدباء تح: الدكتور الحبيب ابن الخوجة- تونس ، 2008
ص 104.
- 41 - Edward. T. Hall, La dimension cachée, éd, Seuil, 1971, P, 129
- 42 - عباس محمود عوض -علم النفس الفسيولوجي، ص 132- 133.
- 43 - الشم..حاسة لها تأثير على عواطفنا 30 DW.COM IN <http://www.dw.com/ar>
- LANGUAGESأكاديميةDW
- 44 - رواه الترمذي في سننه، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله.
- 45 - عبد الهادي دحاني - منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في لغة التواصل- مجلة (الإحياء) مجلة الرابطة المحمدية
للعلماء-المغرب.
- 46 - رواه الطبراني في المعجم الكبير: 156/22، رقم: 414.
- 47 - رواه الترمذي في سننه، في كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في صنائع المعروف.
- 48 - رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الطلاق، باب اللعان.
- 49 - رواه الطبراني في المعجم الكبير: 156/22، رقم: 414.
- 50 - تشارلز فيدلون ألين -الرمزية والأدب الأمريكي، ترجمة هاني الراهب، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،
1976. ص 25.

- 51 - Edward. T. Hall, La dimension cachée op.cit., P, 85
- 52 - رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليمين.
- 53 - رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الرقائق، باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.
- 54 - رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.
- 55 - حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1987، ص: 23.
- 56 - عبد الجواد توفيق محمود - الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الإنجليزية - جامعة أسيوط جمهورية مصر العربية. مجلة : رؤى استراتيجية - يناير 2014 ص 125
- 57 - نفسه. ص نفسها.
- 58 - عبد الجواد توفيق محمود - الواقع اللغوي في العالم العربي - ص 126.
- 59 - نفسه - ص 130.
- 60 - جوزيف فيساريونوفيتش ستالين 1878 - 1953 هو القائد الثاني للاتحاد السوفيتي ورئيس الوزراء (1941-1953)، عرف بقسوته وقوته وأنه قام بنقل الاتحاد السوفيتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفيتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.
- 61 - محمد مراياتي- اثر اللغة العلمية و التكنولوجيا في النمو الاقتصادي العربي: أسئلة اللغة منشورات معهد - الدراسات والأبحاث للتعريب - يوليو 2002 ص 34
- 62 - نفسه - ص 130.
- 63 - للمزيد عن دور اللغة القومية في النمو الاقتصادي، وكيف أن دور اللغة القومية في بناء منظومة المعرفة والتنمية البشرية،
- لا يقل أهمية عن دور العملة القومية في بناء المنظومة الاقتصادية والتنمية الاقتصادية، يظر:
- محمد عبدالعظيم، " اللغة القومية عامل خفي في النمو الاقتصادي"، مجلة التعريب، ع (43 دمشق) 2012 ص 176-177
- 64 - صالح بلعيد - الأمازيغية أكثر اللغات عرضة للتهجين اللغوي بسبب تدريسها باللاتينية حوار أجرته معه : دليلة حباني -
- نشر في (الجزائر نيوز) يوم 13 - 03 - 2010 (جَزَائِرْس - محرك بحث إخباري)
- 65 - نفسه - الحوار نفسه .
- 66 - نفسه - الحوار نفسه .
- 67 - بومدين بوزيد - "الأمن اللغوي والاستقرار الاجتماعي" محاضرة ألقاها بالمجلس الأعلى للغة العربية الجزائر - نشر المقال : حميد عبد القادر - الخميس 28 فيفري 2013 الجزائر.
- 68 - نفسه .
- 69 - فادي شاهين، ازدواجية لغوية - القدس العربي، عدد 5817، تاريخ 16 شباط 2007.
- الثنائية اللغوية (بالفرنسية: Bilinguisme) هي وجود لغتين من نظامين لغويين مختلفين عند نفس المتكلم، مثال الفرنسية والعربية في الجزائر وفي المغرب العربي الكبير بالعموم. تعتبر كندا دولة ثنائية اللغة حيث تستخدم اللغة الفرنسية والإنجليزية كلغة رسمية للدولة.
- لا يجوز أن نقول إن هذا الأمر يسمى الازدواجية اللغوية لأن يتميز الشخص ثنائي اللغة بقدرة على التواصل والتحدث مع الآخرين بشكل أكبر لأنه يمتلك أكثر من لغة تساعد فيه ذلك. اثبتت الدراسات بأن الافراد الذين يتحدثون أكثر من لغة هم أكثر ذكاء من غيرهم، فهي تحسن من مهارتهم المعرفية وتساعدهم في الوقاية من الخرف في سن الشيخوخة.
- تفيد ثنائية اللغة الأطفال في تطور نموهم المعرفي. حيث يتفوق اطفال ثنائي اللغة على احادي اللغة في كثير من المواد كالرياضيات والعلوم. فادي شاهين، ازدواجية لغوية - القدس العربي، عدد 5817، تاريخ 16 شباط 2007.
- 70 - مصطلحان استعمل أولهما الأديب الأصيل مصطفى صادق الرافعي، واستعمل ثانيهما الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات، كما استعمل مصطلحا آخر هو "العبودية العقلية". ينظر: الهادي الحسني - الاحتلال اللغوي - جريدة الشروق 2013/03/14.
- 71 - يوهان غوتليب فيشته (1762-1814) فيلسوف ألماني. واحد من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية.
- (ينظر : الموسوعة العربية الميسرة، - المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) - 2010. (فيشتيه).
- 72 - الهادي الحسني - الاحتلال اللغوي - جريدة الشروق 14/03/2013 . (يفرق الأستاذ مالك بن نبي بين الاحتلال والاستعمار، ويعتبر الاحتلال أصق بالماديات، بينما الاستعمار أصق بالماديات والنفسيات معاً..)
- ينظر: مالك ابن نبي مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي.. صص 141 و 145.

- 73 - فاتح دبيش- ضرورة تشكيل أكاديمية وجهاز يضمن حقوق صيانة اللغة العربية- نَشَر الحوار: مكي أم السعد-
بجريدة (الخبر) الجزائرية - بتاريخ : الجمعة 16 ماي 2014.
- 74 - نفسه .
- 75 - مكي أم السعد- (ضرورة تشكيل أكاديمية وجهاز يضمن حقوق صيانة اللغة العربية) جريدة (الخبر) الجزائرية
-
بتاريخ : الجمعة 16 ماي 2014.